وفيه راسية مراكب القسطنطينية في انتظار ورود التجارة فتحملها الى العاصمة الجريقية فنتج من
ذلك انه في مدة الجهالة والغباوة التي كانت متسلطة فيما بقي من جهات اوروبا ما زال كان
موجودا في القسطنطينية معلومات كبيرة بالاقاليم القاصية من الكرة الارضية
ثم استنار في مدة هذا الوقت صنوا المعارف ونارت اضواؤها في الشرق وذلك ان
العرب لما عرفوا حلاوة ذوق ولذة ونكاهة علوم الامة التي تغلبوا على ممالكها شرعوا
في ترجمة المؤلفات العديدة من تصنيف الفلاسفة الجريقية الى اللغة العربية وكان من اجل هذه
التآليف واحسنها تأليف الفيلسوف المشهور بطليموس وصارت دراسة علم الجغرافية عند العرب
من اهم الاشياء وحازوا في ممارسته الدرجة العالية الا انهم لاجل تحققهم من تصور وهيئة
اقسام الكرة وجهاتها احتاجوا لمطالعة القواعد الهندسية فتفننوا فيها واتقنوها ومارسوا
علم الفلك واشتهروا في ارصاد الافلاك وعمل جداولها الفلكية واستعملوا في ذلك التجاريب و
الاعمال التي اتخذتها اوروبا وافتخرت في السير على منوالها والعمل على منهاجها في عصر زهور
العلوم والمعارف وفي ذلك الوقت ما كانت وصلت التهذيبات والتحسينات التي اجراها
العرب الى اوروبا ثم ان المتبربرين من القبايل الذين قطنوا المملكة الرومانية الغربية تركوا
ما كان واقع بينهم من الغش والتدميرات وظهر في عقول القبايل المتوطنة بها درجة احساس
وفكر في تشييد حكومات منظومة ورفاهية وعزة في الحياة المدنية ومن هذا الوقت ابتدأت
اوروبا في قيامها من غفلتها واستيقظت من رقدتها وشوهدت اوايل هذا الانتباه في
ايطاليا في اول الامر وذلك ان القبايل الشمالية الذين استحوذوا على هذه المملكة تقدموا
في تحسين احوالهم بسرعة كبيرة زيادة عن الامم القاطنة في الجهات الاخرى من اوروبا وبذلوا
مجهودهم في عمورية المداين الايطاليانية واستعملوا اعمالها وتولد من هذا حزم و
شوق في القوى الفعالة للفكر الانساني واجتهد الناس في احياء التجاره وربط علاقات
تجارية مع الامم الغريبة وكذا فن الملاحة وتحسين كل منهما وصارت القسطنطينية المرساة
الاصلي في توجيه الايطاليانيين اليها حتى قبلوا فيها بامتيازات وتاهيل فقط بل ويسر
لهم الحصول على ربط معروفات متبادرة صار لهم بها طاقة على تشغيل تجاراتهم بفوايد عظيمة
عادت عليهم واستحوذوا على التجارات والتحايف الغالية الواردة من الجهات الشرقية وعلى
كثير من المشغولات الظريفة وبما ان شغل ومصاريف ارسال البضايع الهندية الى القسطنطينية
بالطريقة التي ذكرت انفا صيرتها نادرة الوجود في العاصمة الجريقية بسبب كثرة مصاريفها
واتعاب نقلها فضلا عن عدم وجود الفايدة فيها بالحالة الجارية في النقل كشف الايطاليانيين
طريقة اخرى تيسر لهم الحصول عليها بوفرة واسهل طريقة وكانوا يبتاعونها احيانا من
نواحي حلب وطرابلس ومن بعض المين الموجودة في سواحل سوريا كانت تجلب اليها
هذه البضايع عن طريق ما كانت مجهولة للقدماء فانها كانت ترسل من الهند بطريق البحر
الى الخليج الفارسي ومنه الى بغداد من طريق نهر الدجلة ثم تحمل من بغداد من طريق البر
قاطعة او عابرة صحرا تدمر او بالميره حتى تصل الى المداين السورية الموجودة على سواحل
البحر الابيض المتوسط الا انه من طول الاسفار وصيرورة قوافل التجارة في اخطار
شديدة صارت هذه الطريقة وعرة وصعبة في خصوص ارسال البضايع ولما احيى سلاطين
مصر التجارة مع الهند الى طريقها القديم من خليج العرب عقد تجار الايطاليانيين علاقات
تجارية بينهم وبين اهل اسكندرية واجتهدوا في تحويل البضايع الهندية الى هذه المدينة
واتحد المسيحيون والمسلمون مع بعضهم في هذه المادة من بعد ما كان النفور الشديد واقع
بينهم ومن ابتداء هذا الوقت صارت الهمة والعزم في التجارة في ايطاليا من اكبر المشروعات
واجلها وقامت فينيسيا وجنوه وبيزا من هيئة مداين صغيرة الى ان صارت مداين
كبيرة ذات سكان غزيرة وثروات واموال عظيمة واخذت شوكة تلك البحرية في الزيادة
وما طرقت مراكبها كافة المين الموجودة في سواحل البحر الابيض المتوسط فقط بل و
خاطرت هذه السفن حتى خرجت من مضايق البوغازات وتوجهت الى المداين الساحلية
الموجودة في اسبانيا وفرانسا والاراضي الواطية وانكلتره وبواسطة توزيع تجاراتها
في اوروبا ابتدات في ان تدخل على اممها المختلفة الاجناس شيء من الالطاف الثمينة

الثمينة للشرق وذوق المشغولات والفنون التي كانت غير معروفة فيما وراء حدود ايطاليا
وفي اثنا ما كانت المداين الايطاليانية اخذة في تحسين احوالها وترقي سكانها ظهرت عندها
حادثة جديدة لا يوجد اكبر منها حادثة في التاريخ البشري ويدل ان يحصل منها توقيف التجارة
الايطاليانية وازدياد نفوذها وانتشارها في العلم والعقل وذلك ان القوى الحربية والشهامة العسكرية
لاهل اوروبا اشتعلت في رؤسهم نار الحمية والغيرة الديانية واسرعوا في الكر على خلاص الارض
المقدسة من ايدي المسلمين فتجندت في هذا الصدد جنود صحيحة من كل امة في اوروبا وسارت هذه
الجنود مع ملوكها نحو اسيا في طلب هذا المشروع الوحشي فاعد الجنويزيون والفنيزيون والبيزانيون
مهمات نقلهم وتوصيلهم الى اسيا واعدوا لهم المؤن والذخاير الحربية وغير المبالغ الجسيمة التي
استحصل عليها اهل تلك المداين من الصليبيين في نظير حملهم الى اسيا استحصلوا ايضا منهم على
امتيازات تجارية ومواطن ما بعد تغلب الصليبيين على ارض فلسطين وعلى الجهات الاخرى من
اقاليم اسيا ومن هذه المكاسب حصلت الاموال الجسيمة في المداين المذكورة وكانت هذه الاموال
والمكاسب مصحوبة بزيادة في الشوكة والقوة البرية والبحرية للمداين المذكوره وفي خلال
الحروب الصليبية صارت فنيسيا على الخصوص المملكة البحرية الكبيرة واستحوذت على تجارات عريضة
واراضي واسعة وما كانت ايطاليا بمفردها هي التي بواسطتها انتسب الصليبيين لاحياء اثر
هذه اوروبا واستعدادها لمكتسبات في المستقبل بل وان الامم الاخرى في اوروبا في
مدة سفرهم الى اسيا والتجول فيها صاروا على دراية تامة من معلوماتهم باحوال الاقاليم القاصية
الذين كانوا يعرفونها بالاسم فقط او من حكايات معتادة عليهم من قوافل وزوار للاراضي
المقدسة وسنحت لهم فرصة رؤيتهم عوايد وفنون ومعلومات ورفاهية الامم الاكثر تمدنا
وحضارة منهم والذين عادوا من تلك الامم من اسيا الى بلادهم اوصلوا الى اهلهم واهاليهم
هيئة ما اكتسبوه من مشاهدتهم معيشة سكان البلاد التي وصلوا اليها وما راوه عندهم من
العوايد والسجايا والمزايا ومن ثم ابتدأ الاوروباويون في التمسك بالعوايد وطبايع الامم
التي كانت مجهولة الاسم عندهم وقام بينهم تغيير في هيئة الاحوال وانتشر بينهم تجارة
وفنون وصنايع البلاد الاخرى على التدريج حتى انهم ما صاروا يستجلبون الاجانب فقط على
الوفور الى بينهم بل وصاروا ينظرون الى الفوايد والمكاسب الضرورية التي كان يمكنهم تيسير
الحصول عليها من التجارة معهم ثم تولد من هذه المواصلة التي انفتحت بين اوروبا
والاقاليم القريبة من اسيا تشجيع عدة اشخاص في السفر والسياحة الى ما وراء الاراضي
والجهات التي اجرا فيها الصليبيون اعمال محارباتهم ويدخلوا من طريق البر في الاقاليم
البعيدة الخصبة من جهات الشرق حتى الاقصى فامنوا الجهات وعرفوا طبايع واحوال البلاد
الشرقية في ذلك العصر رجل اسمه بنيامين من يهود طليطلة من اعمال مملكة نواره في اسبانيا
كان من عنده تمسك شديد من دين اليهودية فاصر على زيارة ارض اهل بلاده في الشرق وسافر
من اسبانيا في سنة ١١٦٠ بعد الميلاد سيرا من طريق البر حتى وصل القسطنطينية ثم سار
في الممالك الواقعة في شمال البحر الاسود وكذا الممالك الموجودة في شمال بحر الخزر وجاز ال
في سياحته حتى وصل الى التتار الصيني ثم سار منها نحو الجنوب ومن بعد ان عبر عدة ممالك
واقاليم في الهند الاقصى ركب في البحر الاوقيانوس الهندي ودخل في عدة جزاير منه وعاد
من بعد مضي ثلاثة عشر سنة من طريق مصر الى اوروبا وجمع الكثير من الاخبار والاوصاف
المخصوصة بالقسم الاعظم من الكرة الارضية التي كانت مجهولة بالكلية عند الدنيا الغربية
ثم ان غيرة راس الكنيسة المسيحية اشتركت مع غيرة بنيامين اليهودي فيما كان عليه من زيارة
ارض اهله في كشف داخل الاراضي والاقاليم القاصية الداخلة في قارة اسيا وفي سنة
١٢٤٦ بعد الميلاد كان الفزع الاكبر في كافة المملكة المسيحية من حكايات سرعة تقدم جيوش
التتار تحت قيادة جنكيز خان فارسل البابا انوسنت الرابع وكان على رغبة كبيرة من زيادة
شوكة ودولة نفسه وخضوع العالم لسلطنة الاب يوحنا دو بلانو كاربيني في راس
مبعوثين من رهبان الفرنسيسكانيين والاب اسكولين في راس رسالة اخرى من الدومينيكيين
الى قايوق خان حفيد جنكيز خان وكان في هذا الوقت راس مملكة التتار من اجل

Copyright © King Saud University